International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (5)
IJESA
May 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (5)

الخرنق بنت بدر بن هفان البكرية (حياتها وشعرها): قراءة في التراث الشعري

عمر أحمد صديق أحمد
قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، مسقط، سلطنة عمان
almagzoob@squ.edu.om

ملخص البحث

اهتم هذا البحث بقراءة شعر الشاعرة (الخرنق بنت هفان البكرية) وهي شاعرة من شعراء العصر الجاهلي، وتناول الباحث، حياتها، وشخصيتها، وموضوعاتها الشعرية التي انحصرت في غرض الرثاء والهجاء.

واعتمدت الدراسة على أهم كتب التراث العربي التي استشهدت بأشعار (الخرنق) في مواضع مختلفة، وتناولت الدراسة الحالة النفسية للشاعرة من خلال رثائها لزوجها، ولقومها، والأسى والتحسر عليهم، وتعد (الخرنق) من النماذج النسوية التي أسهمت إسهاماً مقدراً في حركة الأدب والفكر والنقد، وتوجهت الدراسة نحو استجلاء ملامح شعر الشاعرة الجاهلية (الخرنق بنت هفان)، وأغلب محطاتها الشعرية تميزت بفن الرثاء.

وقد حاول الباحث استعراض أشعار (الخرنق) والوقوف عند دلالات ألفاظها المتنوعة، واستجلاء مضامينها المختلفة. وتناول الباحث مقدمة، استعرض من خلالها أهمية النظر في تراثنا العربي واستنباط معانيه القيمة، وتناولت المقدمة فكرة موجزة عن أسباب تناول البحث وأهمية الدراسة وأهداف البحث، والمنهج المتبع في الدراسة، وكذلك مشكلة البحث وحدوده، كما تناول البحث خاتمة لأهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وأتبع ذلك البحث ثبت المراجع والمصادر.

الكلمات المفتاحية: الرثاء، التراث، الشخصية.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (5)
IJESA
May 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (5)

Al-Kharnaq bint Badr bin Hafan Al-Bakriya (Her Life and Poetry): A Reading in the Poetic Heritage

Omar Ahmed Siddiq Ahmed
Department of Arabic Language and Literature, College of Arts and Social Sciences, Sultan Qaboos University, Muscat, Sultanate of Oman
almagzoob@squ.edu.om

Abstract

This research focused on reading the poetry of the poet (Al-Kernag bint Haffan Al-Bakria), who was one of the poets of the pre-Islamic era. The researcher discussed her life, her personality, and her poetic themes, which were limited to the purpose of lamentation and satire.

The study relied on the most important books of Arab heritage, which cited the poems of “Al-Kernnag” in various places. The study dealt with the psychological state of the poet through her lamentation for her husband and her people, and grief and regret for them. “Al-Kernag” is considered one of the feminist models that made a significant contribution to the movement of literature, thought, and criticism. The study was directed towards clarifying the features of the poetry of the pre-Islamic poet (Al-Kernag bint Haffan), and most of her poetic stations were characterized by the art of lamentation.

The researcher tried to review the poems of “Al-Kernag”, examine the meanings of its various words, and clarify its various implications. The researcher dealt with an introduction, in which he reviewed the importance of looking at our Arab heritage and deducing its valuable meanings. The introduction dealt with a brief idea of the reasons for undertaking the research, the importance of the study, the objectives of the research, the methodology followed in the study, as well as the problem of

the research and its limits. The research also dealt with a conclusion of the most important results reached by the researcher, this research was followed by references and sources.

Keywords: Lamentation, Heritage, Personality.

مقدمة

من الأهداف التي دفعتني لكتابة البحث ‘إحياء التراث العربي الذي لم يتم الاهتمام به، والتنقيب عنه بالصورة المطلوبة، ولاسيما إبراز مكانة المرأة الأدبية والنقدية والفكرية وأيضاً ما تحمله من مشاعر دفاقة ووجدان صادق عبرت به عما يجيش بخواطره وانفعالاته المتباينة، ودورها، وإسهاماتها الأدبية خاصة في العصر الجاهلي، فقد كان لها دور في مجال الشعر، ومجال النثر. وتكمن مشكلة البحث في أن المرأة لم تجد النصيب الكافي من التنقيب والاستقصاء العلمي الدقيق الذي يرتقي بعمله المتميز ولم تفرد لها كتب تاريخ الأدب العربي حيزاً متسعاً يبين ويوضح ما أنتجته المرأة في العصر الجاهلي من أعمالها وإنجازاتها وعسى أن يكون هذا البحث إضاءة وعلامة لتتبع قيمة ما أنتجته المرأة في العصر الجاهلي من الشعر الذي يستحق الاهتمام به، وانصبت هذه الدراسة نحو استجلاء ملامح شعر الشاعرة الجاهلية (الخرنق بنت هفان)، وأغلب محطاتها الشعرية تميزت بفن الرثاء.

حدود البحث تنحصر زمانياً في العصر الجاهلي، وأدبياً فيما قدمته المرأة في جانب الشعر، واعتمد الباحث في بحثه على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي.

إن علماء الأدب والمؤرخين قد غفلوا عن تسجيل تراث المرأة الأدبي والشعري والنثري، وقصر المفكرون والمؤرخون في إبرازه إلى حيز الوجود؛ لأنه يتوافر في المرأة من حيوية ونشاط، ورقة وعاطفة وجدانية.

ولقد سجل التاريخ مآثر لبعض النساء الشاعرات ولاسيما في العصر الجاهلي" ولم تقتصر العناية بالأدب على الرجال وحدهم فقد نبغ من النساء عدد كبير ضرين بسهم وافر في الأدب، ومنا أمثلة تحتذى في قوة البيان وفصاحة اللسان، وقوة العارضة. ومنهن -على سبيل المثال لا الحصر- الناقدة الأديبة أم جندب امرأة إمام الشعراء أمرئ القيس بن حجر فلقد كانت أديبة نابهة يفد إليها الشعراء والأدباء، فتدلي برأيها السديد ونظرها الثاقب في شعرهم، ومنهن الخنساء فقد كانت خطيبة مؤثرة، وشاعرة بارعة ولعل سبب قوتها الأدبية وتأثيرها

يرجع إلى أنها مرت بتجارب وأحداث كثيرة مختلفة، انعكس أثرها على نفسها فصقل أسلوبها وأضاف إليه الحنكة والتجربة والصلابة وشدة الأسر" (معبدي، د.ت، ص 10)

للشعر الجاهلي قيمة ومكانة رفيعة لدى العرب، حيث يقول ابن سلام الجمحي "كان الشعر في الجاهليّة عند العرب ديوان علمهم، ومنتهى حكمهم به، وبه يأخذون، وإليه يصيرون"، كما قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه". (الجمحي، د.ت، ج1ص24)

والشعر الجاهلي يتسم بقيمة ثقافية واجتماعية، حيث يمثل جزءًا هامًا من تراث الأدب العربي، وكان الشعر الجاهلي يعبر عن مشاعر الحب والفرح، وفي الوقت نفسه كان يتناول قضايا الحياة والموت والحروب، وكان للشعر دورًا هامًا في التعبير الفني وإيصال الأفكار والعواطف بشكل فني وجمالي، يقول أبو عمر بن العلاء: "كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم، ويخوف من كثرة عددهم، ويهابهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم)"(الجاحظ، 1985، ج1ص241).

ويحتفظ الشعر الجاهلي بسجل حافل للتاريخ والثقافة العربية في تلك الفترة، ويمكن أن تكون قصائد الشعر مصدرًا هامًا لفهم حياة الناس، والعادات، والتقاليد في ذلك الزمن.

ويعد الشعر الجاهلي جزءًا من الميراث الأدبي العربي، وهو مرجع للدراسات الأدبية واللغوية، وكان للشعر في تلك الحقبة دور في توجيه المجتمع ونقل الأخلاق والقيم الاجتماعية. كانت بعض القصائد تحمل رسائل توجيهية للناس، سواء في مجال السلوك الأخلاقي أو في التعامل مع الآخرين، وقد أثرت قصائد الشعر الجاهلي على الأدب العربي فيما بعد، حيث استُلهم منها العديد من الشعراء والكتّاب في العصور اللاحقة، وبشكل عام، يعتبر الشعر الجاهلي جزءًا لا يتجزأ من تاريخ وثقافة العرب، ويعكس الإبداع اللغوي والفني لتلك الفترة التاريخية.

أما عن مكانة المرأة الأدبية، فقد اختلفت بشكل كبير على حسب القبيلة والظروف الاجتماعية والاقتصادية، خصوصاً بعض النساء اللواتي كنّ يتمتعن بمكانة اجتماعية وثقافية، وكان لديهن دور في المجتمع والأسرة.

ومن بين هؤلاء النساء الشاعرات، وكان لهن الدور في التعبير عن مشاعرهن وآرائهن وفي توثيق الأحداث الاجتماعية، وقد أشارت بعض النصوص الشعرية إلى قدرة بعض النساء على التأثير في قرارات وتحركات المجتمع، وقد اشتهرن بقدرتهن على التعبير، على الرغم من التحديات والقيود التي كانت تعيق حرية المرأة

في بعض القبائل بشكل عام، ومع كل ذلك لا يمكن القول بأن المرأة كانت تتمتع بالمكانة والحقوق الكاملة التي تستحقها.

وبالنسبة لمساهماتها في الشعر العربي القديم تمثل الأداة الرئيسة لإعادة الإنتاج القيم والمبادئ الأساسية للمجتمع؛ سواء من خلال دورها المنزلي أو من خلال أدوارها العامة كدورها الأدبي والمجتمعي، ودور المرأة في العملية الإبداعية والفنية في العصر الجاهلي قد زخرت به أخبار المجالس التي كان يرتادها الرجال والنساء، والتي كانت فيها المرأة تبرز ملكتها الشعرية وتنميها بالمساجلات، ومع ذلك فإن الآثار الأدبية المتعلقة بالمرأة التي وصلت إلينا، قليلة ومتناثرة في صفحات الكتب، والدواوين الشعرية؛ وذلك مما دفعني لتناول شعر الشاعرة الجاهلية الخرنق بنت هافان و من أكبر الادلة على رقى العرب في جاهليتهم ارتقاء نسائهم. فقد كان للمرأة عندهم رأى وإرادة، وكانت المرأة صاحبة أنفة ورفعة وعلو ووعي تام، وكان لهن شأن في الشعر والأدب والفكر. فهناك نساء كثيرات ممن تفوقن على البعض من شعراء ذاك العصر. أما بالنسبة إلى الشاعرات، فقد تناول الباحث كنموذج للمرأة في العصر الجاهلي كشاعرة وأديبة الخرنق بنت بدر، وهي أخت الشاعر طرفة بن العبد لأمه.

جاء في مقدمة محقق ديوان شاعرتنا الخرنق" صاحبة هذه الأشعار ابنة عصرها، منه وإليه ذلك العصر الثري الذي مازال معطاء بكل المقاييس الأدبية والنقدية، العصر الذي يحق لنا أن نطلق عليه عصر الروعة الشعرية، عصر الغزارة والمنهل العذب الذي يطيب لكل شاعر وأديب، بل لكل ناقد ومؤرخ أدب أن يعود إليه مرات ومرات كي يستفيد منه، ويستقي دون حدود.

ولأن قراءة الدواوين الشعرية القديمة متعة لا تعادلها متعة، فالشعر دون فنون الإبداع الأدبي الأخرى تعبير عن المشاعر والأحاسيس تعبير عن سرائر الشاعر، وتعبير عن معطيات عصره، وأغواره الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والنفسية" (هفان، 1990، ص7)

الخِرنِقِ بِنتِ بَدر (ت 50 ق .هـ /574م)

الخرنق بنت بدر هي أخت طرفة بن العبد لأمه وردة بنت عبد العزّى أخت المتلمّس الشاعر. ويبدو أنها كانت أسنّ منه. وتزوجت الخرنق عبد عمرو بن بشر بن عمرو بن مرثد سيّد بني أسد، ولكن لم تكن سعيدة في صحبته فشكته إلى أخيها فهجاه. وعاشت الخرنق بعد أخيها وزوجها، وكان زوجها قد قتل في غارة له على

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (5)
IJESA
May 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (5)

بني أسد يوم قلاب. أما الخرنق فقد توفيت نحو عام 570 م، أو بعد ذلك، نحو عام 580 م بعد عمرو بن هند، وكان زوجها قد قتل في غارة له علي بني أسد يوم قلاب (من أيام الجاهلية).

عددنا له ستّا وعشرين حجة فلمّا توفّاها استوى سيدا ضخما
فجعنا به لمـــّا رجونا إيابه على خير حال، لا وليدا ولا قحما
(هفان، 1990، ص15)

وغضب عمرو بن هند ملك الحيرة على زوجها عبد عمرو فنفاه عن العراق حيث كان يعيش مع أهله في سعة من العيش، فقالت الخرنق تهجو عمروين هند:

ألا من مبلغ عمرو بن هند وقد لا تعدم الحسناء ذاما
كما أخرجتنا من أرض صدق ترى فيها لمغتبط مقاما
كما قالت فتاة الحيّ، لمـــا أحسّ جنانها جيشا لهاما
لوالدها وأرأته بليـــــــل قطا؛ ولقلّ ما سرّى ظلاما
ألست ترى القطـــا متواترات ولو ترك القطـــا ليلا لناما
(هفان، 1990، ص52)

والذام: عيب، نقص. لا تعدم الحسناء ذاما: لا تخلو الحسناء من عيب (وهذا مثل)

اللهام (بضم اللام): العظيم.

والقطا: طير سريع الطيران. متواترات: يلحق بعضها بعضاً بكثرة. ولو ترك القطا ليلاً لنام: لو لم يزعج الناس هذا الطير لما طار ليلاً (مثل يضرب للرجل الذي لا يزال في حركة وعمل لأنه مضطر إلى ذلك).

وعندما نمعن النظر في هجاء الشاعرة لعمرو بن هند، نجد لوعة الشاعرة، وحزنها على زوجها، انعكس على نفسية الشاعرة، وجاء شعرها الهجائي في غاية الابداع، وذلك يدل على مصداقية الشاعرة، وقد تناول علماء النفس دراسا ارتبطت بدافعية شعر الهجاء، وأيضاً ودراسات السلوك وموسوعات علم النفس والتحليل النفسي العام حيث تمدنا بما من شأنه تجلية الجوانب المتعلقة بشعر الهجاء، ودوافعه في الإبداع، والحيثيات النفسية والسلوكية المؤدية إلى خوض هذه التجربة والإبداع فيه.

"هذا أفلاطون يحاول تفسير عملية الإبداع وفهم نفسية المبدع المؤدية إلى ذلك، فيظن أن الشاعر وحده يملك الإجابة عن تساؤلاته: قلت في نفسي: إن الأمر ولا ريب مكشوف لدى الشعراء...ثم جمعت طائفة مختارة من أروع ما سطرت أقلامهم، وحملتها إليهم أستفسرهم إياها؛ لعلي أفيد عندهم شيئا، أفأنتم مصدقون

ما أقول؟ واخجلتاه! أكاد أستحي من القول لولا أنني مضطر إليه؛ فليس بينكم من لا يستطيع أن يقول في شعرهم أكثر مما قالوه هم وهم ناظموه، عندئذ أدرك على الفور أن الشعراء لا يصدرون في الشعر عن حكمة، ولكنه ضرب من النبوغ والإلهام، إنهم كالقديسين أو المتنبئين الذين ينطقون بالآيات الرائعات وهم لا يفقهون معناها. هكذا رأيت الشعراء" (سويف، 2004، ص 21).

وقالت الخرنق ترثي زوجها عبد عمرو بن بشر ونفرا آخرين من قومه سقطوا معه قتلى في يوم قلاب.

ألا آليت آسى بعد بشر على حيّ يموت ولا صديق
وبعد الخير علقمة بن بشر إذا نزت النفوس إلى الحلوق
وبعد بني ضبيعة حول بشر كما مال الجذوع من الحريق
فكم بقلاب من أوصال خرق أخي ثقة وجمجمـة فليق
ندامى للملـوك إذا لقوهم حبوا وسقوا بكأسهـم الرحيق

(هفان، 1990، ص12)

من خلال الأبيات السابقة يتضح لنا جلياً تأزم حالة الشاعرة النفسية نتيجة لفقدها ومصابها الجلل، فضلاً عن رثائها لقومها، ويظهر مستوى معاناته النفسية من خلال عبارات وألفاظ أوحت بشكل واضح إلى تلك الأزمة والمعاناة مثل (آسي بعد بشر ...نزلت النفوس إلى الحلوق ... وسقوا بكأسهـم الرحيق...).

وكان من الطبيعي أن تحزن على أفراد قبيلتها، وأيضاً على زوجها، نتيجة طبيعية لمجتمع يضع في عين الاعتبار السمات الخلقية والمستوى الاجتماعي مؤشراً لتحديد منزلة أفراد القبيلة.

وقالت في ذلك أيضاً:

لا يبعدن قومي الذين هم سمّ العـــداة وآفة الجزر
النازلون بكلّ مـــعترك والطّيّبون معـــاقد الأزر
والخالطون لجينهم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذي الفقر
إن يشريوا يهبوا، وان يذروا يتواعظوا عن منطق الهجر

(هفان، 1990، ص42)

شعرها

لقد استطاعت (الخرنق) الشاعرة الجاهلية، أن تفرض وجودها المتميز في وقت قل فيه زخم صيت المرأة العربية ولاسيما في العصر الجاهلي، ومن خلال تتبعنا لشعر(الخرنق)، فقد تلمسنا قدرتها الفائقة على جودة

التعبير وجزالة المعاني، بالرغم من قلة الصور البيانية المختلفة، فقد غاصت الشاعرة بكل أبعادها النفسية والاجتماعية، وشكلت لنا قيمة إبداعية لرائعة.

وللشعر مكانة عظيمة، ومنزلة رفيعة وقد أشعار النقاد إلى ذلك، ذكر القيرواني في كتابه (العمدة) أن القبيلة العربية إذا نبغ فيها اسم شاعر محدّد فإنّ القبائل الأخرى تأتي لتهنّئها، فتُقام الولائم، وتجتمع النساء كما في الأعراس، (القيرواني، 1988، ص153). ومما يجب ذكره أن الشاعر الجاهلي يأخذ مكانة مميّزة تكسب الحب والحماية من البقيّة، فهو بمنزلة تفوق بقيّة الأفراد، وتكون وظيفته الأساسية هي أن يصبح لسان القبيلة، يدافع عنها، ويحميها، ويتغنّى بأمجادها وأنسابها، ويُخلّد جميل أعمالها، ويحمي شرفها، وبذلك يكون الشعر مرآة تنعكس عليها الصورة المثالية للجماعة القبلية. (شارل بلا، 1997، ص87)

ولشاعرتنا الخرنق أشعار كثيرة، ولكن للأسف لم نعثر إلا على القليل منه، ومعظم موضوعاته تدور حول غرض الرثاء، والقليل جداً حول موضوع الهجاء.

"لها أشعار كثيرة في أخيها وزوجها لم يصلنا منها إلا بضعة وخمسون بيتًا جُمعت في ديوان، منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية، وقد طُبعت أخبارها وأشعارها في شعراء النصرانية ٣٢١، وأفردت في ديوان على حدة طُبع في بيروت، ولها أخبار في خزانة الأدب ٣٠٦ ج٢" (زيدان، 2017، ص172).

وشعرها يجمع في ديوان باسم "ديوان الخرنق" فكان أكثر شعرها في رثاء زوجها عبد عمرو ورثاء من قتل معه من قومها ورثاء أخيها طرفة. وقد قالت في رثاء زوجها ومن قتل معه في يوم قلاب:

ألا آليت آسى بعد بشر على حي يموت ولا صديق
وبعد الخير علقمة بن بشر إذا نزت النفوس إلى الحلوق

(هفان، 1990، ص12)

ولما قتل أخوها طرفة رثته بقولها:

عددنا له ستا وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيدا ضخما
فجعنا به لما رجونا إيابه على خير حال، لا وليدا ولا قحما

(هفان، 1990، ص15)

ونجد فرقاً كبيراً بين رثاء الخرنق لزوجها، ورثائها لأخيها، فقد أحسنت الثناء على زوجها، وأجادت تصوير لوعتها عليه، وألمها وحزنها الشديد عليه، وكشفت عما أصاب أهله.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (5)
IJESA
May 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (5)

وعرف عن الشاعرة العربية الخرنق، أنها من فصيحات العرب في عهدها، وذكروا أنها كانت كثيرة التغزل في زوجها بشر بن عمرو، وبطولاته وانتصاراته، وكذلك مجلسه من قومه وقبيلته بني أسد.

كما كان شعرها في المدح لا مثيل له، فقد قال عنها المؤرخون، بأنها مدحت ذات مرة) القلمس) وهو من حكماء العرب، بعد أن قال فيها أنها فصيحة بنت فصيح وأخت فصيح، إذا الله جازى منعاً بوفائه، فجازاك عني يا) القلمس) بالكرم.

وتحول شعرها من التغزل إلى الرثاء، ولكن التحول الذي حدث في حياة الخرنق، جعلها تعتزل الغزل والمدح، وتتجه للرثاء، وذلك عندما قتل زوجها بشر بن عمرو، وأخيها طرفة بن العبد، وذلك في يوم أطلق عليه بيوم كلاب، وهو من أيام الجاهلية التي كانت فيها معارك بين القبائل وبعضها.

ويرجع المؤرخين بأن المعارك التي كانت تدور في ذلك الوقت إما على مصادر المياه، أو الزعامة بين القبائل، وقد كان للخرنق دور كبير في مدح فرسان قومها، وبفضلها حققوا انتصارات عديدة، وكان لهم زعامة على عدد من القبائل.

وبعد هذا التحول انقلب شعرها فكانت أغلب دواوينها الشعرية في رثائهما، ورثاء من قتل معه من قومها، فمن أبرز شعرها في الرثاء على زوجها:

ألا هَلَكَ المُلوكُ وَعَبدُ عَمرٍو وَخُلِّيَت العِــراقُ لِمَن بَغاها
فَكَم مِن وَالِدٍ لَكَ يا بنَ بِشرٍ تَأَزَّرَ بِالمَـــــكارِمِ وَارتَداها
بَنى لَكَ مَرثَدٌ وَأَبــوكَ بِشرٌ عَلـى الشُمَّ البَواذِخِ مِن ذُراها

(هفان، 1990، ص53)

ولا شك أن فن الرثاء من فنون الشعر العربي القديم وفنونه الأصيلة، التي أولاها الشاعر عناية خاصة، ونظم عليه أجود أشعاره، وأعمقها أثرًا في نفس المتلقي.

والرثاء من الموضوعات البارزة في شعرنا العربي كذلك؛ إذ طالما بكى شعراؤنا مَن رحلوا عن دنياهم، وسبقوهم إلى الدار الآخرة، وهو حالة من البكاء تتعمق في القدم، فمنذ وجد الإنسان وجد أمامه هذا المصير المحزن، مصير الموت والفناء، الذي لا بد أن يصير إليه، فيصير أثرًا بعد عين، وكأن لم يكن شيئًا مذكورًا، وبنظرة ناقدة لهذا الغرض الشعري المتجذر في الثقافة الشعرية العربية؛ يقول الأصمعي: "قلت لأعرابي: ما بال المراثي أشرف أشعاركم؟ قال: لأنا نقولها وقلوبنا محترقة"(عبد ربه، 1967، ج3ص228)، فإن الخرنق التزمت بذلك فبكت ووزنت الشعر فاتزن.

وزوج (الخرنق) كما جاء في كتاب الأمالي لأبي علي القالي، أنه عمرو بن مرثد (القالي، 2010، ج2ص157) وجاء أيضاً في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة، أن زوج (الخرنق، أخت طرفة بن العبد) عبد عمرو بن بشر بن مرثد، وكان سيد أهل زمانه. (قتيبة، 1984، ج1ص117)

وقالت تفخر بزوجها بشر بن عمرو وصحابته:

لقد علمت جديلة أن بشرا غداة مربح مـــر التقاضي
غداة أتاهم بالخيل شعثاً يدق نسورها حد القضاض
عليها كل صيد تغلبي كـــريم مركب الحدين ماض
بأيديهم صوارم مرهفات جلاها القين خالصة البياض
وكل مثقف بالكف لدن وسابغة من الحلق المفاض
فغادر معقلاً وأخوه حصناً عفير الوجه ليس له بذي انتهاض

(هفان، 1990، ص50-51)

ويعني بنسورها، بواطن حوافرها. والقضاض، الحصى الصغير، ويعني بالسابغة، الدرع.

والشاعرة هنا تمازج بين المدح لبشر والرثاء له، ومنظومات الشعراء في شعر الرثاء كثيرة، وقد كانت تتميز بكونها صادقة ومرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمشاعر الإنسانية والنفسية العميقة؛ وذلك لأن شعر الرثاء فنٌّ يرتبط بالموت والفناء، برعت المرأة في شعر الرثاء، وأجادت فيه حتى فاقت الكثير من الشعراء، ومن الطبيعي أن تتفوق النساء على الرجال في موضوع الرثاء، لم تمتاز به المرأة من شعور رقيق، وعاطفة جياشة.

وإن شعر المرأة الرثائي يأتي في شكل مقطوعات قصيرة، تعجز المرأة عن الإطالة إذا كان الفقيد عزيزًا لديها؛ لغلبة العاطفة عليها.

وفي موضع آخر قولها:

ألا أقسمت آسي بعد بشر على حي يموت ولا صديق
وبعد الخير علقمة بن بشر إذا نزت النفوس إلى الحلوق

(هفان، 1990، ص12)

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (5)
IJESA
May 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (5)

وقالت ترثي قومها الذين قتلوا يوم قلاب:

لا يَبعَدَن قَومي الَّذينَ هُمُ ... سُـــمُّ العُداةِ وَآفَــةُ الجُزرِ
النازِلــونَ بِكُلِّ مُعتَرَكٍ ... وَالطَيِّبونَ مَعـــــاقِدَ الأُزرِ
الضارِبونَ بِحَومَـةٍ نَزَلَت ... وَالطـــاعِنونَ بِأَذرُعٍ شُــعرِ
وَالخالِطون لُجَينَهُم بِنُضارِهِم ... وَذَوي الغِنى مِنهُــم بِذي الفَقرِ
إِن يَشَربوا يَهَبوا وَإِن يَذَروا ... يَتَواعَظوا عَن مَنطِقِ الهُـــجرِ
قَومٌ إِذا رَكِبوا سَمِعتَ لَهم ... لَغَطـاً مِنَ التَأييهِ وَالزَجـــرِ
مِن غَيرِ ما فُحشٍ يَكونُ بِهِم ... في مُنتَجِ المُهُرات وَالمُـــهرِ
لاقَوا غَداةَ قُلابَ حَتفَهُمُ سَوقَ ... العَتيرِ يُســـاقُ لِلـــــعَترِ
هَذا ثَنائي ما بَقَيتُ لَهُم فَإِذا ... هَلَكــتُ أَجَنَّني قَـــبري

(هفان، 1990، ص46)

تتحدث عن كرمهم ونخوتهم، وهم سم الأعداء، وهم آفة الجزر؛ لأنهم ينحرونها للأضياف، وأنهم أعفاء في أخلاقهم وسلوكهم، وهم فرسان حومة الحرب ويعظ بعضهم بعضاً على أن ينطقوا بالهجر وهو المنطق الفاحش، فإذا ركبوا الأمر اختلطت أصواتهم، واللغط الذي لا يكاد يفهم، والزجر يعني به زجر الخيل.

وبين غرضي الرثاء والمدح علاقة إنسانية وطيدة وعميقة، مع أن ظاهر الأمر يوحي باختلاف شديد وفرق كبير بين الموضوعين، فليس بين الرثاء والمدح فرق، إلا أنه يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت، مثل "لاقوا حتفهم" وما يشاكل هذا من التعابير والألفاظ ليعلم أنه ميت، وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع، بيِّنَ الحسرة، مخلوطًا بالتلهف والأسف والاستعظام، بهذا يكون الرثاء في الأصل نوعًا من المدح، ويكون بتعظيم الممدوح وذكر مناقبه وصفاته الكريمة ومناقبه الجليلة، لكن من شرطه حتى يسمى رثاء، ويطابق مدلوله، ويتسق مع معناه أن يكون هذا الممدوح ميتًا؛ تاركًا الأشجان والأحزان تستحوذ على ذويه وأقربائه، ونلاحظه بوضوح عند تفجع شاعرتنا الخرنق، وقد أثنت عليهم في حياتها، وأيضاً كما قالت: ما بقيت لهم فإذا هلكت أجنني قبري؛ وذلك لعظمتهم ومكانتهم عندها.

وقد تبين للباحث من خلال ديوان شاعرتنا الخرنق، أن الموضوعات الشعرية التي نظمت فيها شعرها، موضوع الرثاء، والنادر جداً من الهجاء، والرثاء جله منحته لزوجها الذي قتل في غارة له على بني أسد، عند عقبة جبل تسمى قلاب بضم القاف.

"وقد اختلف الذين عنوا بهذا اليوم في شخص قاتل بشر، فذكر جامع ديوان شاعرتنا الخرنق أن أبا عمرو بن العلاء أعلن أن قاتله هو: خالد بن نضلة، واستدل على ذلك بفخر حفيده المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن نضلة الأشتر الذي يذكر أن جده خالد بن نضل قتل بشراً:

أنا ابن التارك البكري بشراً عليه الطير تركبه وقوعـا
حشاه طعنة، بعثت بليل نوائـحه، وأرخصت البضوعا
وغادر مرفقاً، والخيل تهفو بجنب الردم، محتبلاً صريعـا
وقاد الخيل عائذة لكلب ترى لوجيفها رهجا ســـريعا
عجبت لقائلين: صه، لقوم علاهــم يفرع الشرف الرفيعا

(هفان، 1990، ص13)

يقال: ملك فلان بضع فلانة: إذا تزوجها، يقول: لما قتل بشر سبيت بناته ونساؤه فنحكن بلا مهر، فرخصت البضوع بلا مهر، وقد ترك رجل من اسمه (مرفق) وهو من سادات بكر بن وائل كان مع بشر يومئذ فأسر فافتدى نفسه بثلاثمائة بعير.

وقالت تقرع بني أسد قاتلي بشر:

ألا لا تفخــرن أســد علينا بيوم حينا في الكـتاب
فقد قطعت رؤوس بني قعين وقد نقعت صدور من شراب
وأردينا ابن جساس فأضحى تجـول بشلوه غبس الذئاب

(هفان، 1990، ص47)

بنو قعين من بني أسد، وكان قتل منهم قوم.

وفي جانب آخر، عمدة "الخرنق" إلى تحشيد صفات وقيم أخرى أملاً في مقاومة الأثر النفسي المتحقق فيه، فبدأ تارة بالفخر (ألا لا تفخـــرن أســـد علينا) عن طريق إضفاء صفات عزيزة وقيمة إلى قومها، تعويضاً عمّا لحقتهم من هزيمة وقتل؛ وأدى ذلك إلى أثر نفسي سلبي، وأظن إن الأمر لا يعدو عن كونه محاولة من الشاعرة لرسم صورة لذاتها، والانتقام من العدو (فقد قطعت رؤوس بني قعين) ويزيد على ذلك قولها (وأردينا ابن جساس).

وقالت أيضاً ترثي بشراً زوجها:

ألا ذهب الحـــلال في القفرات ومن يملأ الجفن في الحجرات
ومن يرجع الرمح الأصم كعوبه عليه دمـــــاء القوم كالشفرات

(هفان، 1990، ص49)

وتعني بأن بشراً كريماً سخياً، يطعم الأضياف في الحجرات و(الحجرات) هي السنون المجدبة، وحاجة الإنسان فيها أشد.

وقالت أيضاً في رثائه، وتصف خروجه للصيد قائلة:

يا رب غيث قد قرى عـازب أجش أحوى في جمادى مطير

وتعني بالغيث: السحاب الممطر، ومطر عازب: بعيد الموقع. وأجش: يعني به صوت رعده. والجشة: البحة. وأحوى: يضرب للسواد وهو أغزر كمائه.

قاد به أجـــرد ذا ميعة علا شـــواه غير كاب عثور

أجرد: فرس قصير الشعرة. والميعة: النشاط، وشواه: قوائمه. وعبل: غليظ.

فألبس الـوحش بحـافات والتقط البيض بجنب الســدير

البيض: يعني بياض النعام.

ذاك وقدماً يعجل البازل ال كوماء بالموت كشبه الحـصير
يبغي عليها القوم إذا أرملوا وساء ظن الألمـــعي القرور

أي ينحرها إذا أرملوا: أي قل زادهم. القرور: الذي يجد البرد. واليلمعي: الصحيح الظن.

آب وقد غنم أصحـابه يلــوي على أصحابه البشير

(هفان، 1990، ص49-50)

وكما أسلفنا أن (الخرنق) لم تكثر في تعدد موضوعاتها، ومعظم شعرها أو جله كان في موضوع الرثاء، وخاصة في رثاء زوجها، ولها القليل جداً في موضوع الهجاء.

International Journal of Educational Sciences and Arts (IJESA)
Vol. (3), No. (5)
IJESA
May 2024
المجلة الدولية للعلوم التربوية والآداب
الإصدار (3)، العدد (5)

وقالت تهجو عبد عمرو (وهو الذي وشى بطرفة عند عمرو بن هند):

أَلا ثَكِلَتكَ أُمُّكَ عَبدَ عَمرٍو أَبالخِزيات آخَيتَ المُلــوكا
هُمُ دَحُّوكَ لِلوَرِكَين دَماً وَلَو سَأَلــوا لأَعطَيت البُروكا
ألا سيان ما عمرو مشيحاً على جرداء مسلحــها علوكا
فَيَومُكَ عِندَ مومَسَةٍ هَلوكٍ كَصِلَّ الرَّجع مِزهَرُها ضَحـوكا

(هفان، 1990، ص60)

"الرثاء فن الموت، ولغة الحزن، ومجال اليأس، ومعرض الوفاء، والحزن في الأصل عاطفة سلبية تحمل الإنسان على العكوف على النفس، والتفكير في شأنها فهو انهزام أمام الكوارث، ومدعاة إلى العظة والاعتبار لذلك يكون أسلوب المرائي رقيقًا لينًا وبخاصة إذا صدر عن شاعرة لأن "النساء أشجى الناس قلوبا عند المصيبة وأشدهن جزعا على هالك لما ركب الله عز وجل طبعهن من الخور وضعف العزيمة، وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء"(القيرواني، 1984، ج3ص32)

وقالت في عبد عمرو ابن عم طرفة تعيره بتآمره وجبنه؛ حين وشى بأخيها طرفة إلى عمرو بن هند فقتله:

أَرى عَبدَ عَمرٍو قَد أَساطَ ابنَ عَمِّهِ وَأَنضَجَهُ في غَلي قَدرٍ وَما يَدري
فَهَلاّ اِبنَ حَسحاسٍ قَتَلتَ وَمَعبَداً هُمـا تَرِكاكَ لا تَريشُ وَلا تَبري
هُما طَعَنا مَولاكَ في خَرجِ دُبرِهِ هُمــا تَرِكاكَ لا تَريشُ وَلا تَبري

(هفان، 1990، ص54)

ولعل أبرز ما في النص المتقدم ذلك التحشيد الهائل للألفاظ المعبرة عن القسوة والألم، والتحسر على مصابها وفقدها ويظهر ذلك من خلال تكرار لفظ (هما)، و (تَرِكاكَ)، ومن الملفت للانتباه في مجمل النص إن الشاعرة كررت عبارة (لا تَريشُ وَلا تَبري) في البيت الثاني والبيت الثالثة للدلالة على المعنى المراد اصطلاحاً في مجال علم النفس، وأحسب إنها إشارة مبكرة في تراثنا الشعري إن لم تكن الإشارة الأولى، فتكرار (لا تَريشُ وَلا تَبري)، مع أنه ترنم، ولكن ليس من الترنم المحض، ولكنه أقرب لأن يكون صورياً وشكلياً أو فيه معنى من معاني التهديد والزجر.

والشعر كما هو معروف صورة ظاهرية لسلوك الشاعر والوعاء الذي يحوي أحاسيسه وحالته النفسية. فقديماً قالت العرب "اللسان ترجمان القلب "و" القلب موطن النفوس ومكمن إسرارها". وقد لا يكون من باب الاستطراد القول إن قسماً كبيراً من بلغاء العرب جعل من الشعور النفسي الداخلي السبب المهم والوحيد

للإبداع وإجادة الكلام، فقد قال معاوية بن ابي سفيان لصحار العبدي: ما هذه البلاغة التي فيكم؟ فقال: شيء تجيش به صدورنا ثم نقذفه على ألسنتنا (قتيبة، 1996، ج5ص172)

وفاتها

ذكر المؤرخون أن الخرنق توفيت في العام الميلادي 570، أي قبل الهجرة النبوية بأكثر من خمسين عاما، وقبل ميلاد النبي بعام واحد، وكانت قد مرضت بالحمى، حيث كان هذا المرض شائعا بسبب البيئة الصحراوية التي كانوا يسكنونها.

خاتمة البحث

في البدء ينبغي لنا أن نشير إلى أهمية إبراز مكانة المرأة الأدبية والنقدية والفكرية، وأن تراثنا العربي يحمل قيماً مفعمة بالإنسانية و، وأن المرأة العربية ولاسيما الشاعرة (الخرنق بنت هفان) تجيش خواطرها بمشاعر دفاقة ووجدان صادق، كما لها الدور الريادي، وإسهاماتها الأدبية المتميزة، وذلك ما لمسناه في شعرها.

الشاعرة لم تجد النصيب الكافي من التنقيب والاستقصاء العلمي الدقيق الذي يرتقي بعملها المتميز ولم تفرد لها كتب تاريخ الأدب العربي حيزاً متسعاً يبين ويوضح ما أنتجته الجاهلي من أعمال وإنجازات، وعسى أن يكون هذا البحث إضاءة وعلامة لتتبع قيمة ما أنتجته المرأة في العصر الجاهلي، ولاسيما الشاعرة (الخرنق بنت هفان) من الشعر الذي يستحق الاهتمام به، وانصبت هذه الدراسة نحو استجلاء ملامح شعر الشاعرة الجاهلية (الخرنق بنت هفان)، وأغلب محطاتها الشعرية التي تميزت بفن الرثاء.

وقد أثبت البحث بأن العناية بالأدب لم تقتصر على الرجال وحدهم؛ فقد نبغ من النساء عدد كبير ضربن بسهم وافر في الأدب، ومنا أمثلة تحتذى في قوة البيان وفصاحة اللسان، وقوة العارضة. ومنهن -على سبيل المثال لا الحصر- الشاعرة (الخرنق بنت هفان) فلقد كانت أديبة نابهة، وشاعرة بارعة ولعل سبب قوتها الأدبية وتأثيرها يرجع إلى أنها مرت بتجارب وأحداث كثيرة مختلفة، انعكس أثرها على نفسها الحزينة والمكلومة بسبب قتل زوجها، وأفراد قومها، فصقل أسلوبها المتميز في الرثاء إن كانت مراثيها لم تحظ بدراسة علمية تبرز مضامينها وخصائصها الفنية المتميزة، وقد سخرت الشاعرة غرض الرثاء إلى شحذ الهمم لقومها لأخذ الثأر والانتقام من الأعداء.

من حيث البنية: تنوعت قصائد الشاعرة، من حيث بنيتها أو شكلها الخارجي إلى مقطوعات شعرية قصيرة، وقصائد متوسطة الطول لا ترتقي إلى مستوى القصائد الجاهلية، ومعظم مطالعها كانت بكائية.

تتسم مراثي الشاعرة بسلاسة وبساطة الأسلوب، ووضوح المعاني، وانتقائها لبعض المفردات التي تتناسب مع بكائياتها، وجاءت واضحة وبسيطة مستمدة من بيئتها.

المصادر والمراجع

1- أدب النساء في الجاهلية والإسلام، محمد بدر معبدي، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز- المطبعة النموذجية د.ت.

2- الأمالي، لأبي على القالي ج2، دار الكتب العلمية-2010م.

3- البيان والتبيين للجاحظ تح وشرح ع السلام محمد هارون، 241/1مطبعة المدني، ط.

4- تاريخ آداب اللغة العربية-جرجي زيدان، الناشر، مؤسسة هنداوي 26-1-2017م.

5- تاريخ اللغة والآداب العربية، شارل بلا، تعريب رفيق بن وناس وجماعته، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت، 1997.

6- ديوان الخرنق بنت بدر بن هفان-دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى 1410هـ-1990م.

7- الشعر والشعراء لابن قتيبة-ج1- دار أحياء العلوم – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1404هـ- 1984م.

8- طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحي – تحقيق / محمود محمد شاكر – دار المدني جدة – (د.ت).

9- العقد الفريد لابن عبد ربه، ج3 - مطبعة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة – مصر – 1967م.

10- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، الطبعة الأولى، 1988.

11- عيون الأخبار، ابن قتيبة دار الكتب المصرية-القاهرة، 1996م.

12- دراسات نفسية في الإبداع والتلقي للدكتور: مصطفى سويف ط ٢ عن الدار المصرية اللبنانية القاهرة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

Reference

lmṣādr wālmrāǧʿ

1-adb al-nsāʾ fī al-ǧāhlīẗ wālislām, mḥmd bdr mʿbdī, mktbẗ al-ʾādāb ūmṭbʿthā bālǧmāmīz- al-mṭbʿẗ al-nmūḏǧīẗ d.t.

2-al-ʾamālī, lʾabī ʿli al-qālī ǧ2, dār al-ktb al-ʿlmīẗ-2010m.

3-ālbīān wāltbyin llǧāḥẓ tḥ ūšrḥ ʿ al-slām mḥmd hārūn, 1/241mṭbʿẗ al-mdnī, ṭ

4-tārīḫ adāb al-lġẗ al-ʿrbīẗ-ǧrǧī zīdān, al-nāšr, muʾssẗ hndāwy 26-1-2017m.

5-tārīḫ al-lġẗ wālʾādāb al-ʿrbīẗ, šārl blā, tʿrīb rfīq bn ūnās ūǧmāʿth, dār al-ġrb al-islāmī, al-ṭbʿẗ al-ʾaūli, bīrūt, 1997.

6-dīwān al-ḫrnq bnt bdr bn hfān-dār al-ktb al-ʿlmīẗ- bīrūt- lbnān- al-ṭbʿẗ al-ʾaūli 1410h-1990m.

7-ālšʿr wālšʿrāʾ lābn qtībẗ-ǧ1- dār aḥīāʾ al-ʿlūm – bīrūt – lbnān – al-ṭbʿẗ al-ʾaūli 1404h- 1984m.

8-ṭbqāt fḥūl al-šʿrāʾ – mḥmd bn slām al-ǧmḥ.ī – tḥqī.q / mḥm.ūd mḥmd šākr – dār al-mdnī ǧdẗ – (d.t).

9-ālʿqd al-frīd lābn ʿbd rbh, ǧ3 - mṭbʿẗ al-tʾalīf wāltrǧmẗ wālnšr – al-qāhrẗ – mṣr – 1967m.

10-ālʿmdẗ fī mḥāsn al-šʿr ūʾādābh, abnršīq al-qīrwānī, tḥqīq: mḥmd qrqzān, dār al-mʿrfẗ, al-ṭbʿẗ al-ʾaūli, 1988.

11-ʿīūn al-ʾaḫbār, abn qtībẗ dār al-ktb al-mṣrīẗ-ālqāhrẗ, 1996m.

12-drāsāt nfsīẗ fī al-ibdāʿ wāltlqī lldktūr: mṣṭfi swyf ṭ 2 ʿn al-dār al-mṣrīẗ al-lbnānīẗ al-qāhrẗ 1425h 2004m.